

المفهوم الفلسفي عند "جيل غاستون غرانجي"

the philosophical concept in G. Gaston Granger

عبد السلام عمور

جامعة محمد لين دباغين - سطيف 2

Abdslam2011@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/09/30

تاريخ القبول: 2021/04/29

ملخص:

حاولنا في هذا المقال المعنون بـ "المفهوم الفلسفي عند جيل غاستون غرانجي"، الذي يمس عمق الفلسفة، إذ يدخل هذا المسعى في سياق استئناف عملية التنقيب عن العلاقة القائمة بين العلوم والفلسفة، الذي نبتغي فيه إضاءة الفعل النقدي والابستمولوجي الموجه للمفهوم الفلسفي في الوقت الذي أخلت فيه الفلسفة سبيلها للنظر العلمي في موضوعاتها. هذه الانطلاقة العلمية، تتوقف على مدى فعالية التحليل اللغوي والاستعمال الدقيق للمفاهيم العلمية، هذا الاستقصاء أفضى إلى إعادة تعريف النشاط الفلسفي، على أساس أنه يمثل مرحلة حقيقية في تشكل العلم المعاصر الذي له تأثير مباشر على تطور المعارف الموضوعية، حيث أصبح فيها المفهوم العلمي بمثابة مفتاح كل عمل ابستمولوجي دقيق هادف إلى إعادة تأسيس المعارف من زاوية موضوعية مع الأخذ في الحسبان، النجاح الذي سجلته العلوم في تجديد أسس مفاهيم العقلانية الفلسفية في بنيتها العميقة.

الكلمات المفتاحية: دلالة المفهوم الفلسفي، التحليل اللغوي، المفهوم العلمي، النقد ابستمولوجي، المعرفة العلمية.

Summary: the philosophical concept in G. Gaston Granger

We tried in this philosophical article, under the title: the philosophical concept in G. Gaston Granger, which touches the foundation of philosophy, and which fits into the context of the relationship between science and philosophy, and to highlight, that this epistemological criticism, which came at the moment when philosophy gave way to the scientific view, this scientific approach, would be based on linguistic analysis and the rigorous use of scientific concepts, this investigation led him to redefine the philosophical act which constitutes a real stage provided by contemporary science, which has a direct effect on the advancement of objective knowledge. sciences, by renovating the concepts of philosophical rationalism in its deep structure.

Keywords: The meaning of the philosophical concept, Linguistic analysis, The scientific concept, Epistemological criticism, Scientific knowledge.

مقدمة:

تمثل فكرة الاشتغال بالمفهوم الفلسفي على العموم وعند "جيل غاستون غرانجي" Gilles Gaston Granger (1920، 2016)^(١) على الخصوص وعن تموقعه في خارطة الفكر الفلسفي المعاصر، واحدة من المشكلات المركزية التي خلقت جدلاً واسعاً في أوساط الفلاسفة والعلماء والابستمولوجيين، بسبب التوسع المعرفي والمهجي الذي حدث بفضل فتح ورشات فكرية كبيرة مؤطرة بأدوات لغوية ومنطقية وعلمية، تجلت في الأفق مع اشتداد لعبة التوازنات الفكرية والقارية التي فرضتها الفلسفة التحليلية والفلسفة الظواهرية في تدشين أساليب جديدة في البحث عن الحقيقة والكشف عن مضمونها، فكان ذلك عن طريق استخدام استراتيجيات منهجية تسعى إلى التنقيب عن فحوى المفهوم وفي آليات اشتغاله داخل الحقول الفلسفية والعلمية، فما طبيعة الإستراتيجية التي اتبعها "جرانجي" في نقد المفهوم الفلسفي؟

أولاً: المقاربة الدلالية للمفهوم الفلسفي: قبل البدء في عملية تشخيص حقيقة محتوى المفهوم الفلسفي وعرض المسالك المعرفية التي أخذها، فإن المنطلقات المنهجية تقتضي منا التعرف على هويته ودلالته الفكرية ومكوناته اللغوية؛ باعتبار أن هذا المفهوم يمثل الأداة الضرورية والتقنية التي يستأنس بها الفلاسفة في بناء نسقهم الفكري والمنطقي والفلسفي، ومدى تأثيره في تشكيل عديد من التصورات عن مختلف الموضوعات والأشياء، عندما تنتقل هذه العمليات من المستوى الحسي إلى المستوى العقلي المجرد، وذلك بتكوين مجموعة من التصورات عنها؛ فالتصور من حيث هو فعل العقل ناتج عن العملية التي نترك بها الموضوعات الماثلة أمامنا، لذلك يُعرف "اميل لثريه" Emile Littré "التصور": "إنه ملكة فهم الأشياء"^١، وهذا الفهم في حد ذاته يتجاوز الحدود اللغوية الضيقة، ومن ثمة أصبحت الغاية من ضبط التصورات تهدف إلى الاحاطة المنطقية بالحدود والألفاظ المعبرة عنها، فتفضي هذه الأخيرة إلى استبصار حقيقة المفهوم، وتُمكننا من معرفة محتواه الفكري. بما أن التصور يمثل القاعدة التي تتشكل منها معظم أفكارنا ومفاهيمنا عن مختلف الأشياء والموضوعات، فإن "بول فولكي" Paul Foulquie "يُعرف المفهوم: بأنه "تمثل ذهني مجرد عام، وهو مرادف للفكرة العامة والمعنى المجرد Notion، وبخلاف "الفكرة" التي تنتهي إلى اللغة العامة، فإن المفهوم هو لفظ تقني خاص بالفلسفة، وبالتالي يتضمن معنى أكثر تحديداً، وهو أكثر موضوعية"^٢. هذا يعني، أن المفاهيم الفلسفية حين تتجاوز الرؤية الذاتية لموضوعاتها، وتنزع إلى تحديد الجوانب الدلالية والاصطلاحية لما يتداوله الفكر عندما يشتغل في حقل المعارف العلمية أو الفلسفية، فإن المفاهيم الفلسفية تحمل صفات نظرية مجردة

تفوق ما هو معطى حسياً، وبهذه الصيغة تكون هذه المفاهيم على مستوى عالٍ من الخصوصية في التجريد، فأصبح فيها، "المعنى اللغوي للفظ "التجريد" المعنى المعتمد في حد المفهوم الفلسفي"³.

أما "أندريه لالاند" André Lalande " يميز في معجمه الفلسفي بين دالتين للمفهوم في حقل الاشتغال الفلسفي: " المفهوم بالمعنى العام والمفهوم بالمعنى الإجرائي؛ فالأول لا يختلف كثيراً عن الدلالة المنطقية؛ فهو الفكرة بوصفها مجردة وعامة، أي تكون هذه الفكرة لها قابلية التعميم، أما المعنى الثاني، أي المفهوم بدلالته الإجرائية؛ فإنه تتعاقب عليه عمليات عقلية مختلفة، تتعلق أساساً بالعمل الفكري عندما يتصل بعالم الأشياء، فتحصل عندئذ عملية الإدراك"⁴، بما أن هذه الأخيرة لا تنفصل عن مختلف الأنشطة التي يقوم بها العقل في تفاعله مع الأشياء الموجودة في العالم الخارجي، فإن محاولة الإرتقاء بها من وضعيتها الواقعية إلى مفاهيم عقلية مجردة، تحدث بغية تجاوز حدود ما يقع تحت حواسنا، لكن إذا أمعنا النظر في هذه الآلية التي اعتمدها "لالاند" في شرح المفهوم، فإننا نجد، أن هذه الصيغة لا تختلف كثيراً عن فكرة المفهوم التي تحدث عنها "أرسطو" في السابق، فأوصاف الكلية والعمومية التي رصدت في تكوين صورة عن المفهوم، لا تخرج عن سياق استخلاص العناصر والصفات المشتركة في تحصيل الفكرة عن هويته، لا يمكن في هذا السياق حصر المفهوم في حدود الأبعاد الفلسفية والمعاني الكلية، سواء أكان ذلك في تصويره أو في ارتباطه ببعض النشاطات النفسية والعقلية والادراكية، وإنما هناك إمكانية متاحة لمعرفة الركن الأساسي الذي يقوم عليه عندما تتم عملية تجاوز المظهر اللغوي والسطحي له، وكذلك قد يحدث تناغم المفهوم الفلسفي مع سلسلة من التصورات العقلية بسبب تداخله الواضح بمجموعة من الأفكار، وبما أن الفكرة هي الصورة التي يكونها العقل عن الشيء الموجود في العالم الخارجي، وتكون لها خاصية ذهنية تميزها عن الإحساس البسيط، فإن " الفكرة الحقيقية، هي الواضحة والمتميزة كما يقول "ديكارت" Descartes، لأنه هناك إمكانية البرهنة عليها أو تفسيرها، لهذا كانت النقاشات الفلسفية القائمة تدور حول طبيعة الفكرة"⁵، على أساس أن مفهوم الفكرة من الناحية المنطقية، تجمعها علاقات دلالية كبيرة في إطار التعريف بالصورة التي يتشكل في حضنها المفهوم، سواء أكان ذلك على المستوى الفلسفي أو العلمي.

لذلك لم تكن فكرة الاشتغال بالمفهوم، فكرة جديدة في الثقافة الفلسفية، وإنما تجذر بصماتها، يوحي بأن لها امتدادات تاريخية سادت في العرف الفكري اليوناني، فهناك أكثر من ملمح يدفعنا إلى البحث عن إمكانية معرفة الوضع الطبيعي الذي صاغت فيه هذه الفكرة، هذا الذي دفع "ألان

لارشي "Alain Lercher، إلى القول: " أن الاسم الإغريقي لكلمة "فكرة" كان يعني ما نراه حجماً ظاهراً، و"أفلاطون" كان يستخدمها لتحديد أشكال عقلية مجردة، وهناك معنيان قريبان: الفكرة كمرادف للمفهوم والفكرة كمرادف للنموذج. Modèle. وبمعنى أوسع: نسبي فكرة عندما تكون موضوعاً للفكر، وهذا اللفظ يجمع كذلك، كلاً من تمثيلات الذاكرة أو المخيلة وكذا المفاهيم أو النماذج⁶، كل هذه الخصائص المتعلقة بمفهوم الفكرة تبقى ضرورية لمعرفة الأسس التي يقوم عليها النشاط الفلسفي. ما دام الفعل الفلسفي يحرص دوماً على ضبط التصورات والأفكار التي تحدد مسارات نشاط العقل في علاقته بموضوعاته، فإن الفلسفة تمثل لغة المفاهيم بامتياز، وقد ظفرت بهذه الخاصية، عندما ألحت على إقامة ضبط واضح للتصورات والحدود الدالة عليها من الناحية المنطقية، لذلك " يعرف المفهوم بأنه الفكرة العامة أو الكلية التي توضح الخصائص الأساسية التي لدينا عن الموضوع. (قد يكون الموضوع محسوساً مثل الكتاب، المكتب... إلخ أو مجرداً مثل الديمقراطية، القانون... إلخ) وإذا أدركنا محتوى المفهوم، فسنكون قادرين على أن نعرفه تعريفاً يجعل القارئ أو السامع قادراً على فهمه⁷، وهذا تكون الألفاظ والمعاني ضرورية في تحصيل صورة واضحة عن دلالة المفهوم وما ينطوي عليه من خصائص، حق لا يلتبس مع غيره من المفاهيم، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بموضوعات الفلسفة التي تعتبر مفاهيمها ذات طابع كلي. لذلك تأتي عملية التفصيل في معرفة حقيقة المفهوم وآلية تأثيره في مجريات استيعاب مقاصد الخطاب الفلسفي، وامتلاك القدرة على إقامة تحديد واضح لجوانبه الدلالية والاصطلاحية، كما " يقصد بتحديد المفاهيم، تبيان ما تعنيه من مقاصد وتوضيح ما تتضمنه من معاني، وما تظهره من صفات. ويتضح المفهوم عندما يعقله الإنسان ويميزه بإدراك عن غيره الذي قد يشترك معه في الخصائص والصفات⁸، وهذا ينفرد المفهوم بمركبات وتصورات تنطبع آثارها في ذهن الإنسان، واحتوائها على معاني جعلت من الفعل الفلسفي، نشاطاً يحظى بمراتب عليا، يهدف في النهاية إلى تحصيل الغرض الذي تسعى إليه الفلسفة، لذا، تحرص الفلسفة دوماً في مشروعها الفكري، البحث عن الشكل الملائم في طريقة عرضها المفهومي في مختلف الممارسات المعرفية التي تتحدد في المسار الذي يأخذه، حيث يصبح فيها هذا المفهوم أكثر تعبيراً عن أساسها من ناحية المنهج والمضمون، مبعداً عنها آثار اللبس والغموض، فلا بد في هذه الأحوال مراعاة الخصائص الجوهرية التي تنتهي إلى المفهوم، إذ دون تحديد أو تعريف مفصل وواضح للمفاهيم، لا نستطيع أن نقول قولاً فلسفياً أو نجيب إجابة فلسفية دقيقة عن مختلف الموضوعات التي تخص النشاط المعرفي أو العلمي،

على اعتبار "أن المفهوم يمثل الشكل والقاعدة لفعل العقل في حركته للنفاذ إلى عمق الواقع"⁹، حيث لا يتعدى في غايته عن معرفة وفهم مختلف مكوناته الفيزيائية والميتافيزيائية.

في هذا السياق، تعتبر المفاهيم المتعلقة بالمنظومة العقلانية في صلتها بالواقع، بمثابة الأرضية المباشرة التي ينطلق منها فعل النظر الفلسفي أو العلمي في محاولة إضاءة المشكلات التي يصطدم بها الفلاسفة أو العلماء، حين تشتد سبل التفكير فيها من أجل تحاشي الوقوع في غموض البناء المنطقي الذي يستأنسون به في تناول موضوعاتهم، وكذلك هناك ضرورة لإحكام معانها حق لا يشوه العمل الفلسفي عن مقاصده، لأن المفاهيم الواضحة، هي المفاهيم التي تنطوي على معانٍ واضحة ومحددة في دلالتها، وفي هذا السياق برزت خلافات حادة في الأوساط العلمية والفلسفية والمنطقية حول الطريقة التي يمكن اعتمادها في ضبط المفاهيم من أجل مواجهة المزالق الفكرية التي قد تنجر عن سوء استخدامها، خصوصاً عندما انتقلت وضعية النظر في هذه المفاهيم من رتبة الممارسة إلى رتبة النظر الفلسفي والعلمي.

ثانياً: نقد المفهوم الفلسفي: من أهم التيارات التي برزت موجهتها على الساحة الثقافية والفكرية، نجد الفلسفة التحليلية التي اتجه اهتمامها إلى وضع تصور جديد لمفهوم الفلسفة؛ فأصبحت مهمتها توضيح المفاهيم والأفكار عن طريق تحليل العبارات التي تصاغ فيها هذه المفاهيم، فقد يأخذ هذا التحليل شكلاً منطقياً أو فلسفياً أو لغوياً، في هذا المناخ المتشعب معرفياً وإشكالياً، جعل "غرانجي" يتفطن في وقت مبكر إلى فكرة تقدير حجم المفهوم معرفياً، ودوره في مراحل بناء النشاط المعرفي الذي بدأ في التوسع بشكل لافت في الآونة المعاصرة، لهذا كان هاجس الحفر في مسألة نقد المفهوم الفلسفي وعن تداعياته المعرفية وكيفية تأصيل الفلسفة والابستمولوجيين لمفاهيمهم منهجياً، يعد أكثر من ضرورة في محاولة بناء نسق معرفي أو مشروع علمي يتوخى الصرامة المنطقية والدقة الفكرية، بما أن الفلسفة تمتلك استعداداً قوياً للدخول في عملية التفصيل في جهازها المفهومي وعدتها الاصطلاحية المخصصة، فإن اكتساح إشكالية المفهوم للفضاءات المعرفية والابستمولوجية واثارتها من قبل الفلاسفة والعلماء، يعود أساساً إلى تأثير الأبحاث الفلسفية بالتطورات اللغوية العميقة التي مست الهيكل العلمية والمنطقية في المرحلة المعاصرة؛ فأدت هذه التحولات الفكرية إلى حدوث تغيرات متلاحقة، نقلت هموم البحث العلمي من مجال العناية بالموضوعات والأشياء إلى مجال تحليل اللغة، "على أساس أن اللغة تمثل أداة والمفاهيم أدوات"¹⁰، باعتبار أن هذه الأخيرة عناصر رئيسة في بناء أي نسق معرفي محكم البناء، مما يكشف هذا التوجه عن القيمة الفلسفية التي يحظى

بها المفهوم في الوضع الراهن وما يحيط به من جوانب لغوية ومنطقية، أوضحت فيه الفلسفة بحاجة إلى بيان دور التحليل اللغوي وتأثيره على تشكل مختلف العلوم والمعارف، هذا ما يبين "أن الفلسفة التحليلية أصبحت تمثل النموذج المهيمن في معظم البحوث الفلسفية في القرن العشرين"¹¹ ، على أساس النفاذ إلى قلب المشكلات الفكرية واللغوية التي تحيط بقضايا المفاهيم الفلسفية.

لذلك توسعت مسالك هذه البحوث اللغوية، نتيجة امتداد نشاط الفلسفة التحليلية عبر فتح منافذها اللغوية والمنطقية في البحث عن الشروط المحددة للنظم الفكرية الدقيقة، حين وصل الأمر إلى المستويات المتعلقة بتأصيل المفاهيم الفلسفية وتحليل مكوناتها اللغوية، بما "أن الفكر دائما في معاناة فلسفية يتساءل: كيف يمكن تحليل المفاهيم؟ هل يمكن معرفة المفهوم إن كانت الكلمات غير متوفرة؟"¹² ، وهذا اعتبر "غرانجي" أن المسألة حول فكرة تحليل المفاهيم من زاوية لغوية، تمثل أسئلة مشروعة، وأن الفيلسوف التحليلي في مهامه الفكرية الجديدة، أصبح تقنياً مختصاً في معالجة الأسئلة الخاصة، ويعني تماماً كيفية التعامل مع المفاهيم الفلسفية التي ينتجها باستعمال بعض الخصائص اللغوية، قصد بناء شكل اسمي لها، وذلك بتوظيف اللغة الطبيعية، على اعتبار أن هذه اللغة لا تشكل فقط دور المحرك داخل الخطاب الفلسفي، ولكنها تمثل وسيطاً يتمتع باستقلالية ذاتية، تتوفر على طبيعة خاصة والتي في ضوءها يحاول الفيلسوف شق طريقه في اتجاه بناء المفهوم، لأن "هناك حقيقة لا مناص لنا منها، وهي ضرورة استعمال اللغة الطبيعية"¹³ ، هذه اللغة تعتبر الأساس الذي تشكل منه المفاهيم الفلسفية، وهي محيطة لكل وجوه الممارسة الفكرية السائدة في ميدان الفلسفة. إن ارتباط المفهوم الفلسفي في مراحل تشكله بالأداء اللغوي، قد أفصح عن التطورات التي نقلت وضعية الاشتغال بهذا المفهوم من إطاره الفكري إلى إطاره اللغوي والمنطقي، وقد حدث هذا بسبب توسع النقد الموجه إلى النظرة الميتافيزيقية التي سجنته داخل المستويات النظرية للفكر، فعجزت عن استيعاب محتواه، ومنه تجلت فكرة العودة إلى استثمار المسالك اللغوية، ورفع من مرتبتها لأن تكون اللغة بمثابة الفلسفة الأولى، عندما تطرح مشكلة الاصطلاح المفهومي حول طبيعتها، وتأويل هذه المفاهيم السائدة في الحقل الفلسفي، يُنبئ عن تعلق الأمر بتنامي الهاجس النقدي الذي يتوخى إقامة فحص ملائم للأرضية اللغوية التي تُسج في ثناياها المفهوم، "على أساس أن اللغة أصبحت تؤدي دوراً مهماً في حدوث تشكيل مباشر للمفاهيم"¹⁴ ، فهذه الصورة جعلت الاهتمام الفلسفي يتعاظم اتجاه العناية بالمفاهيم، بهدف ترسيخ فكرة البحث عن جذورها اللغوية وتأصيلها وأقلمتها في مختلف الممارسات التي تخص حقول المعرفة.

في هذا الأفق الفكري الذي تفاعل معه "غراني" بشكل واعٍ، دفعه كي يعود إلى استثمار مفهوم التحليل عند "أرسطو"، أي ادراك فكرة تسلسل القضايا من أجل الوصول إلى معرفة برهانية، وأنه ما من فلسفة إلا وتسلسل فيها القضايا والمفاهيم، مؤكداً في ذلك، أن ما تسعى إليه الفلسفة، هو فتح ورشة المسائل المنطقية واللغوية في صلتها بمعرفة تقنية انشاء المفاهيم وتحديد مساراتها، حيث يبين أن تعلق الفلسفة بالبحث عن مختلف الاشكالات التي سادت مراحل تطورها، يعود أساساً إلى بروز فكرة الاشتغال بالمفاهيم الفلسفية التي أتت في ظروف خاصة، أملت الوضعيات الإشكالية التي وجدت فيها الفلسفة نفسها محاطة بمجموعة من التيارات الوضعية والتحليلية، " وهذا كانت فكرة التحليل النقدي للمفاهيم والمصطلحات التي تستخدمها الفلسفة أو العلوم المختلفة مهمة عريقة اضطلع بها الفلاسفة دائماً وزادت دراسات التحليليين المعاصرين دقة وبراءة¹⁵، في هذا الاطار أدرك "غراني" أن الفلسفة أصبحت مدفوعة كي تغير من أسلوب تفكيرها وفي طريقة تناول موضوعاتها، لذلك تحولت مشكلة المفاهيم إلى جهة خلافات بين المعرفة الفلسفية والمعرفة العلمية على أساس البعد اللغوي، إذ يقول "غراني" في هذا السياق: "لا وجود للغة فلسفية، بل كل ما هنالك هو مجرد استعمال فلسفي للغة"¹⁶، ومن هنا أخذت المسائل اللغوية تدخل في قلب المشكلات المحددة للمفاهيم الفلسفية.

فمن المشروع في هذه الحالة، المضي قدماً في متابعة المسلك اللغوي الذي يريد من خلاله "غراني" العمل على إضاءة المشكلات الفلسفية عن طريق توظيف أسلوب تحليل المفاهيم، حرصاً على بيان معانيها وتفادياً للوقوع في اللبس الفكري الذي قد يعيق فهم محتوى القضايا الفلسفية، فالقول الفلسفي يبنى على ضوء توفر مجموعة من الاعتبارات اللغوية واللفظية التي يبتغي منها فلاسفة التحليل اللغوي ايضاح معناه، على أساس أن المفهوم الواضح، هو الذي يحتوي على معاني وألفاظ واضحة يتيسر لنا ادراكها بسهولة، لكن ليس كل لفظ يمكن ادراجه ضمن الألفاظ الفلسفية، وإنما اللفظ الفلسفي هو المفهوم، والجملة الفلسفية هي التعريف، والنص الفلسفي هو الدليل، والفكر الفلسفي من حيث الممارسة، هو تفكير يقف على أرضية مفهومية ولغوية، تكشف عن صميم العمل الفلسفي حين يتجه في منهجيته إلى تيسير المهمة المعرفية، لأن المشكلة التي يواجهها الفلاسفة في فهم الموضوعات العلمية أو الفلسفية، تحصل عندما يصطدم هؤلاء أثناء الاتصال اللغوي بمفاهيم متسعة الدلالة ومتعددة المعنى، علماً أن المعنى في حقيقة الأمر يتجاوز أفق اللغة الطبيعية.

هذا التوجه اللغوي الذي انخرط فيه "غرانجي" حول قضية الاهتمام بمشكلة المعنى، يُعد أحدي الركائز الأساسية في دراسة المفاهيم، وهذا الموقف يمثل من الناحية المبدئية انشغلاً مركزياً ينصب حول إمكانية إيجاد مسلك منطقي يُعين على إستئناف المشروع الفلسفي الذي دأب عليه فلاسفة التحليل اللغوي، حين اعتبروا أن تحليل اللغة، هو العمل الأساسي الذي تقوم به الفلسفة في مهامها الجديدة، لهذا كان رفضه للميتافيزيقا قائماً على أساس فكرة أن قضاياها فارغة من المعنى؛ وبعبارة عن دلالات الواقع، لأن محاولات فلاسفة التحليل، تصب في اتجاه إيجاد مناهج علمية تحنوها الفلسفة في تعاملها مع موضوعاتها، على اعتبار أن المقاربة التحليلية في وظائفها، تُعد مرحلة خصبة في معرفة العلاقات المنطقية واللفظية التي نسجت في ظلها المفاهيم، بما "أن المفاهيم الفلسفية لا تهدف البتة إلى الدلالة على الأشياء والموضوعات من حيث هي كذلك، ولا إلى تمثيلها بواسطة علاقات ذات صبغة مجموعة شأن المفهوم العلمي، وإنما وظيفتها تنحصر في تيسير الكلام عن المفاهيم الطبيعية بما يبيّن نظامها الجامع لها"¹⁷، بحكم أن المفاهيم الفلسفية تهيكّل عبر منظومة اللغة الطبيعية، لكن هذه اللغة الطبيعية لم تعد تفي بالدقة المنشودة من حيث البنية والمعنى، فأضحت هناك حاجة علمية دعت إلى الاستئناس باللغة الرمزية في التعامل مع المفاهيم العلمية لتلبية الأغراض المعرفية الدقيقة، وكذا التعرف على تقنيات التحليل التي يقدمها المنطق المعاصر في تحصيل فهم أعمق لمشكلات فلسفية أصيلة. لقد أدرك "غرانجي" في نسقه الفكري بضرورة الولاء للمنهج العلمي الذي يبيّن قاعدته المفاهيمية على ضوء ما توفره الملاحظة والتجربة، وما يستخلص من الواقع التجريبي من حقائق واعتماد اللغة الرمزية في صيغها الرياضية، مكن النظريات العلمية النجاح في مسعاها المعرفي، وأن المشكلات التي تعاني منها الفلسفة من الناحية التاريخية، تعود في الغالب إلى الخلط الحاصل بين المفاهيم وعدم إقامة تمييز دقيق بين المفهوم الفلسفي والمفهوم العلمي؛ فالمفاهيم التي تشكلت في فضاء الفلسفة غير واضحة، ولا وجود لآلية تضبط حدودها بدقة، وبالتالي لا يمكن أن تصل إلى مرتبة الوصف العلمي، هذا الذي أفضى إلى محاولة بناء منظومة معرفية جديدة تسعى لأن تكون أكثر تحرراً من المنظومة التقليدية، تحمل مواصفات علمية تجريبية كافية للتدليل على الواقع، وبما أن صياغة المفاهيم العلمية قامت على أسس منهجية وموضوعية، فلاشك أنها تعين كثيراً في الحصول على معرفة عميقة عن الواقع.

ثالثاً: المفهوم العلمي: يعتبر المفهوم العلمي انشغال مركزي يحمل روح العصر في حدود الاهتمامات الاستيمولوجية المعاصرة التي تناغم "غرانجي" مع تداعياتها حين جاء في وضع اشكلي، تنامت فيه الانتقادات

الملاحظة للفكر الفلسفي الذي لم يعد قادراً على مسابقة التطورات العلمية التي سعت بدورها إلى تجديد النسيج النظري والمعرفي، ودعمها بالمسالك التجريبية في محاولة رسم ملمح دقيق يسير عليه واقع المفهوم العلمي، وتأثيره العميق في توجيه بنية المنظومة العلمية التي أصبحت في الواقع أكثر دقة وصرامة في امتحان قدرتها على خلخلة البداهة العقلية، وأن المعرفة العلمية تسير في اتجاه مخالف للفلسفة التقليدية التي حاولت بدورها تأسيس مفاهيم ثابتة، وأن المسألة العلمية والنقدية حولها قد بلغت عتبتها الإشكالية في تغيير منظومة المعرفة. قبل عرض موقف "غراني" من حقيقة التأسيس للمفهوم العلمي، فإن الرؤية التاريخية تضعنا أمام حقيقة هامة، وهي سيطرت العقلانية الأرسطية على الفلسفة منذ قرون طويلة، ونحن نعرف أن هذه العقلانية تميزت بدفاعها عن مبدأ عدم التناقض وعن مبدأ التماسك، على أساس أن هذا الأخير، يمثل سمة أساسية لكثير من المفاهيم مثل: مفهوم الصحة ومفهوم المعنى ومفهوم العقلانية وغيرها، لذلك ترسخ هذا الاعتقاد في عمق الفلسفة التقليدية التي اتضح فيما بعد أن اعتقادها هذا، كان سطحياً وأساءت الطرح الإشكالي للمعارف والمفاهيم المكونة لها؛ وهذه المفاهيم لم تفتأ تتعرض للانتقاد والمراجعة من داخل الفلسفة ذاتها حين احتكت بالنظر العلمي، بدافع "أن العقلانية العلمية تمنعنا أن نكون رأياً في مسائل لا نفقهها جيداً وحول أسئلة لا نعرف صياغتها بدقة"¹⁸، من منطلق هذا الطرح العلمي، بدأ الدور الاستيمولوجي يرسخ سطلته النقدية تجاه المفاهيم التي نسجت في المحضن الفلسفي.

هذه المقاربة الفكرية حول آلية اقتران النقد العلمي بموضوع المفاهيم الفلسفية، والتي يريد "غراني" ادراجها ضمن صلب الاهتمام العلمي، الذي أكد من خلاله، أنه بعد استقلال العلوم عن الفلسفة، أصبحت الفلسفة مدفوعة كي تغير من طريقة تفكيرها، فأخذت تكثر بمجرى التحولات الكبرى السائدة في عصرها، وتتفاعل مع الحركة العلمية حتى لا يحكم عليها بالجمود والانغلاق، وأن تموقع المفاهيم العلمية على الساحة المعرفية، يوجي بشكل أو بآخر، بأن الفلسفة أخلت سبيلها للتيارات الاستيمولوجية التنقيب عن محتواها الفكري والمذهبي، من باب تغيير وجهة العمل الفلسفي، نحو استغلال النجاح الذي حصّله العلم في تكوين نظرة موضوعية عن الواقع الذي يحيط بنا، "فأصبحت مهمة الفيلسوف تتعلق بواقع العلم"¹⁹، هذه الوجهة العلمية لم تكن خياراً بالنسبة للفيلسوف، وإنما أصبحت ضرورة. هذا المنحى المعرفي جعل "غراني" يستلهم فكرة تأثير النقد الاستيمولوجي على الفكر الفلسفي من سلفه "باشلار" في بيان القيمة التي تحظى بها الاستيمولوجيا في التأسيس النقدي للمفهوم، فعملت على تقصي الأصول الفكرية والجهاز

المفاهيمي الذي أقامته الفلسفة على مستوى تفكيرها، بدافع أن النظر العلمي في طبيعة المفاهيم المتداولة في الحقل الفلسفي، سيفتح امكانية أخرى لمعرفة الأرضية التي استمد منها الفلاسفة مفاهيمهم والكشف عن الاختلالات المنطقية والمعرفية التي تعترى أنساقهم الفكرية، على أساس أن الفلسفة كانت بحاجة ماسة إلى تأطير علمي مناسب لوضعيتها، لذلك أصبح "من الضروري معرفة مغزى ودلالة هذه المفاهيم العلمية"²⁰، وفي كيفية تأثيرها على منظومة الفكر الفلسفي، هذا الذي يدل بوضوح أن المفاهيم العلمية أصبحت أكثر قابلية للفهم واقترباً من الواقع التجريبي، أثناء التحام واقع الفكر بواقع الأشياء، لأن "العلم بناء يقوم على الوقائع"²¹، حيث تخضع هذه الوقائع في معرفتها إلى نظام استدلال ومفاهيمي قوي يمتلك القدرة الكافية على تشخيص محتواها الفكري والواقعي.

لقد أدرك "غرانجي" قيمة هذا المنهج التجريبي في أبعاده المنهجية، والذي أصبح فيه الواقع العلمي أكثر تعقلاً حين جسد صورة مدققة عن المفاهيم العلمية من زاوية موضوعية، مؤكداً في الوقت ذاته، أن ما سلكته الفلسفة من طرق في البحث النظري والتحليل العقلي، لم يعد كافياً حين غفلت عن التطورات التي حدثت خارجها، وعن تداعيات هذه التأثيرات العلمية، وما نجم عنها من تحولات عميقة مست طبيعة النشاط الفلسفي والآثار المفاهيمي الذي قام عليه، وأن النقد العلمي، سيعمل جاهداً على تجاوز حدود النظرة العقلية التجريدية التي تعاملت بها الفلسفة مع موضوعاتها في نواح كثيرة، لذلك "مهما كانت درجة موضوعية المفهوم العلمي، فإنه يتحدد في الأخير على أساس البداهة العقلية التي يتمتع بها"²²، حيث يقوم الفعل الاستيمولوجي بوظيفته النقدية هذه، لابعاد حقيقته عن الجدل الفلسفي واعطاء له صفة الموضوعية، هذا الموقف النقدي الذي تغلغل بشكل لاقت في العمق الفلسفي، جعل "غرانجي" يؤمن بتوفر الشروط الموضوعية والاستيمولوجية في بناء المفهوم العلمي، ويرى في امتداد فعالية النقد العلمي للمفاهيم التي شيدتها الفلسفة في صرحها، حصل من باب تحرير القول الفلسفي من الحضانة الميتافيزيقية التي فرخت في ثناياه؛ فكان صدى هذا النقد قوياً للغاية، إذ تمكن بطريقته الخاصة من زعزعة كيانه المفاهيمي من جذوره حق لا يجعل عقول الفلاسفة تتصلب على نفس الوجهة الفلسفية التي نشأت عليها، وضحالة المعرفة التي تريد بناءها كانت من منطلق مذهبي خالص، هذا ما يبين حاجة الفكر الفلسفي إلى التطور والانفتاح على كل منجز علمي، وما نتج عنه من رؤى وتصورات جديدة فرضتها تقدم العلوم الفيزيائية والرياضية، "بما أن طرح مشكلة المعرفة في صلتها بالتجربة سمح بتمثل نشأة الرياضيات نشأة سيكولوجية في مفاهيمها النظرية"²³،

فأفقد خلالها الأداء الرياضي بعلته المفاهيمية إلى حدوث فهم علمي دقيق، تبين أنه أصبح أكثر ملاءمة في معرفة الواقع الفيزيائي.

لقد أضى هذا المشهد العلمي حول المفهوم، أكثر اجتياحاً للوضع المعرفي في نظر "غراني"، وهو تعبير عن واقع العلم وليس عن واقع الفلسفة، على أساس وجود رغبة قوية لدى العلماء في تجديد الصرح المعرفي والاستقرار على أرضية علمية دقيقة حول المفهوم، بعدما تعرض الفكر الفلسفي إلى مختلف الأزمات التي هزت أركانه ومفاهيمه، مما تمخض عنها طموح كبير سكن عقول العلماء في محاولة وضع بناء صارم للمفاهيم العلمية ورصدها في تأسيس المعرفة، على ضوء وجود ميول كبيرة نحو إزالة الحدود بين موضوعات العلوم المختلفة، فانتقلت موضوعات ومفاهيم الفلسفة إلى مجال العلم، والعلم في تطوره نتجت عنه مشكلات تبحث فيها الفلسفة، فجعل مفاهيم الفلسفة تسعى إلى اكتساب صفة العلمية، علماً أن دعوة الفكر الابستمولوجي موجهة إلى تطبيق دلالة المفهوم وضبط معناه بدقة علمية صارمة، "على ضوء أن المفاهيم العلمية أصبحت أكثر احكاماً من نظيرتها الفلسفية"²⁴، فكشفت في الأخير النقاب عن النقائص المسجلة في العقلانية النظرية التي جنحت لها الفلسفة في تشييد نسقها المفهومي، يعترف "غراني" في هذا السياق، بأن التطورات التي لحقت بالممارسات العلمية، قد واصلت تأثيراتها بمحدداتها الشكلية والمضمونية في نموها وانتقالها إلى مرحلة التفكير في تغيير الهيكلة المعرفية وحصر النشاط الفلسفي، وانبعاث الفتوحات النقدية لتعبد الطريق للنقد الابستمولوجي، كي يستمر نشاط العقلانية التطبيقية في هدم البنيان الميتافيزيقي الذي شيدت عليه الفلسفة مفاهيمها وأسسها الفكرية، في حين نجد "أن المعرفة العلمية في الحقيقة معرفة تتم بالمفاهيم"²⁵، هذا ما يوضح بشكل جلي بأن الخطاب العلمي في بنيته، هو خطاب يتأسس على قاعدة مفهومية، "وأن المفاهيم العلمية تتصل بالتجربة"²⁶، وأن فعل التفلسف، قد وجهت بوصلته إلى الافادة من النضج الذي حصل في موضوعات ومفاهيم المعرفة العلمية، فكان هذا المسعى ضمن التحول الذي تعرفه مختلف العلوم في الآونة المعاصرة، "وتبدو المعرفة العلمية اليوم معرفة مفاهيم أكثر مما هي معرفة أشياء، وتبدو المفاهيم منتظمة في سلاسل تتصل أحياناً وتنفصل أحياناً أخرى، وتبدو منتجة لبعضها بعضاً وكأنها في غفلة تامة مما يوجد حولها، وكأنها في استقلال تام عن كل سلطة دون سلطتها"²⁷.

هذه السلطة المعرفية قد نتجت عن الفتور الذي أصاب الفكر الفلسفي في البنية المفهومية التي وظفها في نسقه المعرفي، وزحزحت الاعتقاد الراسخ في ذهن الفلاسفة، بأن تعصيم مفاهيمهم ينسجم إلى حد كبير مع مناهجهم الفلسفي، سواء أكانت عقلانية أو تجريبية، فهذه الوضعية التي وصل إليها الفكر الفلسفي، تركت التفكير العلمي يتفكك أكثر في فتح مساحة واسعة في نقد المفاهيم الفلسفية من بوابة علمية، مما يوحي بأن "طرح مشكلة المفاهيم العلمية، يعني مباشرة طرح مشكلة سلطتها، وهذا ما يستدعي أن معرفة هذه السلطة لا يمكن اعتبارها حالة طبيعية"²⁸، بل هي حالة تعبير عن وجود رغبة جامحة لدى العلماء في تحرير المفاهيم العلمية من سطوة التجريد الفلسفي، بفضل الاعتماد على كثافة النقد الاستيمولوجي.

هذا النقد يخص على وجه التحديد، المسائل المفهومية والمنهجية والعلمية، وتداخل القضايا الفلسفية والقضايا العلمية، وعدم قبول التبرير العقلي في مجال العلم دون المرور بمرحلة الاستقراء التجريبي التي تفضي إلى صياغة القوانين العلمية، وبناء "النظرية العلمية بناء مفهوماً يستند إلى الصياغة الرياضية لنتائج التجربة"²⁹، فهذه الصفة جعلت العلم يحظى بتقدير بالغ، وأصبح يتمتع بنوع من الخصوصية والتميز في منهجية تعامله مع موضوعات الواقع، فقام بفصل موضوعاته عن موضوعات الفلسفة، لأنه في القرن التاسع عشر، لم يحدث هناك تمييز دقيق بين نشاط الفيلسوف ونشاط العالم في تناول مختلف الموضوعات العلمية، لقد أضحت هذه التداخيلات الفكرية ذات المنزع العلمي، في نظر "غرانجي" تتمتع بمنزلة كبيرة، حيث قوّمت الإستيمولوجية بفضل عملها النقدي الطريق الذي يجب على العلم أن يسلكه، فتمكنت من خرق البنيان الفكري والمعرفي الذي قامت عليه روح الفلسفة، "على الرغم من أن المعرفة الفلسفية، معرفة تتم بالمفاهيم"³⁰، إلا أنها لم تكن واضحة التحديد بسبب أن معارفها لا يمكن تبسيطها مقارنة مع نظيرتها العلمية، لذا أصبح من الضروري مجاوزة الاختلالات التي تعرض لها المفهوم الفلسفي من سوء تقدير وفهم للموضوعات التي كانت تتناولها الفلسفة حين جنحت إلى التأمل الفكري كأسلوب في معاينة حقائق الواقع من منظور عقلي خالص.

تضعنا هذه المقاربة أمام حقيقة انتقال مفهوم فلسفي من حقل معرفي إلى حقل معرفي آخر، ليس شرطاً في حدوث هذا الانتقال تبني جميع العناصر النظرية الأصيلة التي وظّف في سياقها سابقاً، فالمعارف عندما تجتمع على نحو مخصص وعبر ترتيب منطقي محكم سوف تثمر معارف جديدة، فالمعرفة تقوم بدورها على إنتاج معرفة أخرى تسهم بدورها في عملية تمديد موسع للفكر والمفاهيم التي يحتضنها العقل العلمي،

وقد حدث هذا عندما تطورت منظومة العقل الفلسفي في الاستفادة من التوسع المعرفي الذي حصلته النظريات العلمية، "لأن دور النظرية العلمية قائم على توحيد استعمال المفاهيم في ميدان المعرفة حتى تكون أكثر تجانساً معها"³¹، لقد أصبحت هذه التحولات المعرفية في نظر "غرانجي" مرهونة بانفتاح العلوم بعضها على البعض الآخر، وهذا ما يظهر جلياً في تطبيق الرياضيات مثلاً على العلوم الطبيعية والإنسانية بحكم أن لغتها تتوفر على جانب مهم من الدقة والرمزية، وما تقتضيه من "معرفة العلاقة بين المفهوم والتجربة، بما أنها تتضمن الصياغة الرمزية"³²، وما توفره من لغة دقيقة تستأنس بها العلوم في بناء معارفها، ولكن هناك ضرورة الانتباه إلى كيفية حفاظ المفاهيم على طبيعتها ومعرفة البيئة التي تنحدر منها ومعرفة شروط التكوين الذي تخضع له هذه المفاهيم أثناء تلاقحها في مختلف المستويات العلمية، "إذ نجد المنطق، مثلاً، علم يمكن أن تتناول الاستيمولوجيا مشكلاته المعرفية بالدراسة أو تدرس تشكل بنياته المعرفية، ولكن المنطق أيضاً هو العلم الذي تستعين به الاستيمولوجيا في تحليلها لشروط الصلاحية الصورية للمعرفة"³³، فتعين كثيراً العمل الاستيمولوجي على فهم الكيفية التي يشتغل بها العقل الفلسفي.

إن العقل الفلسفي في نظر "غرانجي" من حيث بنيته، هو عقل يفكر بالمفاهيم، وأن معارفه لا تقبل البرهنة وهي دون موضوع محدد وليس لها إمكانية الارتقاء إلى الدقة، لذلك أصبحت فكرة إعادة التأسيس المعرفي من قبل التوجه الاستيمولوجي، دافعاً قوياً بالنسبة للفلسفة كي تغير من مهمتها التاريخية، وتتحول من محبة الحكمة إلى حكمة مؤسسة على علوم عصرها، حيث "تكون فيه الفلسفة في وضعية تشرح للعلم"³⁴، وليس كما كان يدعي "دولوز" أن "الفلسفة بتدقيق كبير، هي الحقل المعرفي القائم على ابداع المفاهيم"³⁵، وأن الفعل الفلسفي يحيا ضمن شروط المجاوزة والابداع، حيث يتم انزياح الصورة التقليدية التي كونتها الفلسفة عن مفاهيمها وتزايد الشكوك في طبيعة رؤيتها لموضوعاتها، وهذا أتى الدور الاستيمولوجي بوظيفته النقدية، محرراً للوضعية المأزومة التي وصلت إليها الفلسفة، عندما وجدت نفسها ملزمة على ترقية أسلوب تفكيرها وإعادة طرح اشكالية العلاقة بين الذات والموضوع وبين العقل والواقع وبين العقل والعلم التي يجب تناولها من موقع نقدي، لأن الفعل الفلسفي في حقيقة الأمر يحيا بالنقد ويموت من غير نقد. هذه التدايعات الفكرية حسب تصور "غرانجي" جاءت في ظرف إشكالي مخصص بالديناميكية والبحث النقدي لمعارفنا، فأصبح "هدف المعرفة العلمية يكمن في إعادة تشكيل موضوعات المعرفة"³⁶ وفك الحصار الميافيزيقي عن الفلسفة على ضوء البحث عن معقولة أكثر للمفاهيم المشكلة لها، فكل معرفة علمية جديدة هي أكثر تقدماً وسعة

عن سابقها، وهي في ذاتها تمتلك القابلية للتطور، فتصبح فيها المعرفة الجديدة أرقى شأنًا من سابقتها، " فيضعنا العلم المعاصر أمام اعتبارات جديدة، علمية وفلسفية بالطبع، مخالفة لتلك الاعتبارات التي كان يقوم عليها العلم الحديث خصوصاً الفيزياء الكلاسيكية التي كانت تنبني على بعض الفروض والمفاهيم الأساسية والتي ما لبثت أن انهارت أو على الأقل ضاق مجال صلاحيتها، نتيجة التقدم الذي حققه العلم في الفترة المعاصرة"³⁷، بسبب تغيير منهجية التعامل الدقيق مع الوقائع.

في هذا السياق أصبحت مشكلة مفهمة الخطاب العلمي في نظر "غرانجي" مشكلة مؤرقة من الناحية الاستيمولوجية، وقد حصلت نتيجة تراكمات معرفية وتاريخية، معتقداً في ذلك أن قوة المفهوم العلمي في ضعف المفهوم الفلسفي الذي أصبحت صورته تمثل عصب المشكلات التي استقرت في المخيال العام، سواء لدى الفلاسفة أو العلماء، إذ أثّرت بعمق على المستويات الفلسفية والرياضية والفيزيائية، وقيام نظريات نسبية في الفيزياء المعاصرة، عزز نجاح العقلانية التطبيقية في محاكمة العقلانية النظرية، وعجل بمرور مرحلة الانتقال من الرياضيات الكلاسيكية إلى الرياضيات المعاصرة، بفضل تطوير اللغة الرمزية والمفاهيم القاعدية المعتمدة في هذه العلوم، لأن "المفاهيم القائمة في هذه العلوم، تعد أكثر تحقّقاً وانسجاماً من غيرها"³⁸، وهذا يعود إلى خسوف المفاهيم القديمة السائدة في هذه العلوم واحلال مكانها مفاهيم جديدة، حصلت بفضل اتباع استراتيجية محكمة لإجراء النقد عليها، لأن النقد هو المنهج الذي تستخدمه كل العلوم لتطوير آليات البحث عن الحقيقة والمفاهيم المحيطة بها، عندما تسعى إلى العمل على تقويض وخلخلة البنيات المعرفية العتيقة التي لم تعد قادرة على الاستجابة الفعلية للنمو المتزايد للنظريات العلمية الأكثر تقدماً.

خاتمة:

لقد أدرك "غرانجي" أن حضور المفهوم بكثافة وتموقعه في المشكلات اللغوية والاستيمولوجية والمنهجية، ينم بوضوح عن المنزلة التي يحظى بها في خارطة الثقافة الغربية المعاصرة، وأن تفكيك شفرة المكوّن الفلسفي للمفهوم، جعل مهام فلسفة التحليل اللغوي، تتوسع في وظائفها، وهي تعرف أن مشكلات الفلسفة الحقيقية لا تمتلك طابعاً تجريبياً كما هو الحال في العلوم الطبيعية، وإنما هي في الأساس مشكلات ذات طبيعة مفهومية ومنطقية ولغوية، وتدور في الغالب حول المعرفة والواقع واللغة والمعنى... إن انخراط "غرانجي" ضمن الاستقطاب الاشكلي حول نقد المفهوم الفلسفي والذي تفاعل معه من وجهة استيمية، يعبر عن إرادة

طموحة في محاولة هندسة رؤية علمية دقيقة حول المفهوم، قصد احتواء الوضع الفكري والعلمي الذي وصلت إليه الفلسفة في علاقتها بمختلف العلوم، فتمكنت من بناء صرح مفاهيمي جديد حول المعرفة، حيث أصبحت فيه المفاهيم العلمية أكثر ملاءمة مع موضوعاتها، وأن العواصف النقدية المتتالية التي وجهت للمفاهيم الفلسفية، حدثت من باب وجود ميول إبستيمولوجية قوية لدى العلماء لانعاش الذهنية التي سار عليها الفكر الفلسفي في السابق، وتمكينه من مواكبة التطورات العلمية، مما فسح لها مجال الخروج من المستنقع الميتافيزيقي الذي ورثته في تصورهما لموضوعاتها، حيث تم الانتقال بالحوار الإبستيمولوجي حول المفاهيم من المستوى الفلسفي إلى المستوى العلمي الموضوعي.

هذه المقاربة النقدية الموجهة للمفهوم الفلسفي، جعلت "غراني" يفلح في تعرية الأسس الفكرية التي قام عليها المفهوم الفلسفي، وأشعار الفلاسفة بضرورة الأخذ بالمهام الإبستيمولوجية الجديدة، الداعية إلى مقاومة العقلانية التقليدية وتعبيد الطريق إلى ظهور عقلانية علمية تطبيقية جديدة، تسهم بنقدها الفعال في ذبوع مفاهيم علمية، متحررة من كل قيد فكري فلسفي أو تأثير أيديولوجي، متمتعة بحصانة منطقية وعلمية تكفي لضخ فيها دماء جديدة، تسري في قلب الفعل الفلسفي الذي يروم نبذ الدغمائية في التفكير، لذلك ستنتج عملية إحداث قطيعة معرفية بشأن التصورات التقليدية التي أضفيت للمفهوم، الشيء الذي يمكننا من قراءة مؤشرات الأنظمة المعرفية السابقة قراءة إبستيمية ونقدية واعية تكشف عن الخلفيات الفكرية والأيديولوجية التي تحركها.

على الرغم من أن النشاط الفلسفي نشاط مفاهيمي بالدرجة الأولى، إلا أن استفحال دعامة النقد الإبستيمولوجي المكثف التي وجهت له، قد هز الأسس الفكرية التي قام عليها، على أمل إحداث قطيعة مفصلية بين ماضي الفلسفة الميتافيزيقي وحاضرها العلمي، بدافع أن النمو العلمي أصبح بدوره على استعداد تام لتحصيل اندماج الفلسفة مع علوم عصرها حتى لا تبقى الأبواب موصدة في وجهها، فتنتج خلاله في صد كل عودة إلى الماضي الذي تحجرت فيه الأفكار الفلسفية تحت تأثير مذهبي أو ميتافيزيقي، مما أفقدت العقل حريته وأخفقت في وضع منظومة معرفية ومفاهيمية محصنة من اللواحق الميتافيزيقية، لذا أصبح من الضروري الاستئناس بالدور الإبستيمولوجي لانعاش الوضع الفلسفي وإسهامه في وضوح المقاصد المعرفية التي تسعى إلى إنشاء قاعدة مفهومية صلبة للعلم، تنتج بدورها في زحزحة البداهة العقلية والمفاهيم

المكوّنة لها تحت تأثير موجة نقدية تعمل على إجراء فحوصات نقدية وعلمية موجهة إلى تشخيص روحها الحقيقية في صلتها بالمسالك التي تبتغها العقلانية العلمية المعاصرة.

الهوامش:

(*) -فيلسوف وإبستمولوجي فرنسي، عُرف في الأوساط الثقافية الفرنسية باهتمامه الكبير بالإبستمولوجيا المقارنة.

- 1Emile Littré: Dictionnaire de la langue Française, Librairie Générale Française, 2^e édition, 1990, p.320
- 2Paul Foulquié: Dictionnaire de la langue Philosophique, PUF, Paris, 4^e Editionne, 1982, p.482.
- 3- طه عبد الرحمن: القول الفلسفي -كتاب المفهوم والتأويل –المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء -المغرب، ط1، 1999. ص 171.
- 4- André Lalande : Vocabulaire technique et critique de la philosophie, 1vol, PUF, Paris, 1992, p.692.
- 5- Didier Julia : Dictionnaire de la Philosophie, Librairie Larousse, Paris, 1979, p.138.
- 6- Alain Lercher: Les mots philosophiques, illustration de Bennip, Edition, Belin, Paris, 1985, p.121.
- 7- أحمد موساوي: مدخل جديد إلى المنطق المعاصر، ج2، معهد المناهج، الجزائر 2007، ص 234.
- 8- عقيل حسين عقيل: المفاهيم العلمية، دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان، ط1، 2000، ص 12.
- 9 - Albert Chapelle: Epistémologie, Editions Lessius, Bruxelles, 2008, p.39.
- 10- Ludwig Wittgenstein: Tractatus Logico-Philosophicus, trad, par Klossowski, Ed, Gallimard, Paris, 1986, p.282.
- 11- Bruno Leclercq: Introduction à la philosophie analytique, Editions De Boeck université, Bruxelles 2008, p.11.
- 12- Philippe Choulet, Dominique Folscheid, Jean-Jacques Wunenburger: Méthodologie philosophique, Ed. PUF, paris, 1992, p.153.
- 13- G.G.Granger: Pour la connaissance philosophique, éd, Odile Jacob, 1988, p. 178.
- 14 - G.G.Granger: Pour la connaissance philosophique op, cit, p.16.
- 15- عبد الغفار مكاوي: لم الفلسفة، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر 2006، ص 109.
- 16- G.G.Granger: Gaston Granger: philosophie, langage, science, éd, EDP sciences, 2003, p.98.
- 17- G.G.Granger: Pour la connaissance philosophique, op, cit, p.154. .
- 18- Gaston Bachelard: La formation de l'esprit scientifique, éd, J. Vrin, Paris, 1999 p. 14.
- 19- G.G. Gaston Granger: Sciences et Réalité, Editions Odile Jacob, Paris 2001, p.11.
- 20- G.Gaston Granger: La vérification, Editions Odile Jacob, Paris, 1992, p.46.
- 21- آلن شلمز: نظريات العلم، ترجمة الحسين سحبان وفؤاد الصفا، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء -المغرب، ط1، 1991، ص 16.
- 22- G.G.Gaston Granger: Pensée formelle et sciences de l'homme, Aubier, Paris, 1968, p. 179.
- 23G.G.Gaston Granger: Langages et Epistémologie, Editions Klincksieck, 1979, p.128-129.
- 24G.G.Granger: Pour la connaissance philosophique, op, cit, p.164.
- 25G.G. Gaston Granger: Sciences et Réalité, op, cit, p.140.
- 26Philippe Lacour: la nostalgie de l'individuel, Essai sur le rationalisme pratique de G.Granger, Librairie -26 Philosophie J.Vrin, Paris, 2012, p.15.
- 27- عمر الشارني: المفهوم في موضعه، أوفي العلاقة بين الفلسفة والعلوم، دار الجنوب تونس، ط1، 1992، ص 16.
- 28- Isabelle Stengers: Les Concepts Scientifiques, Editions Gallimard, Paris, 1991, p. 29.
- 29- بناصر البعزاتي: خصوصية المفاهيم في بناء المعرفة، دار الأمان للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط -المغرب، ط1، 2007، ص 283.
- 30 - G.G.Gaston Granger: La vérification, op, cit, p.12.
- 31- G.G.Gaston Granger: Langages et Epistémologie, op, cit, p.196.
- 32 - G.G.Gaston Granger: La vérification, op, cit, p.50. .
- 33- محمد وقيني: الإبستمولوجيا التكوينية عند بياجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء -المغرب 2007، ص 258.
- 34- G. Lebrun: La conception grangérienne de la philosophie, in la connaissance philosophique. Essais sur l'œuvre de Gilles-G. Granger, textes réunis par J.Proust et E.Schwartz, PUF, Paris 1995, p. 22.

- 35- جيل دولوز وفليكس غتاري: ما هي الفلسفة، ترجمة مطاع صفدي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت ط1، 1997 ص 30
36- G.G.Granger: Gaston Granger: philosophie, langage, science, op, cit, p.182.
37- سالم يفوت: فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، ط1، 1986، ص 17.
38- G.G.Gaston Granger: La vérification, op, cit, p.89.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- G.G.Granger: Pour la connaissance philosophique, éd, Odile Jacob, 1988.
- 2- G.G.Granger: Gaston Granger: philosophie, langage, science, éd, EDP sciences, 2003.
- 3- G.G. Gaston Granger: Sciences et Réalité, Editions Odile Jacob, Paris 2001.
- 4- G.Gaston Granger: La vérification, Editions Odile Jacob, Paris, 1992
- 5- G.G.Gaston Granger: Pensée formelle et sciences de l'homme, Aubier, Paris, 1968.
- 6- G.G.Gaston Granger: Langages et Epistémologie, Editions Klincksieck, 1979
- 1- طه عبد الرحمن: القول الفلسفي - كتاب المفهوم والتأثيل - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 1999.
- 2- أحمد موساوي: مدخل جديد إلى المنطق المعاصر، ج2، معهد المناهج، الجزائر 2007
- 3- عقيل حسين عقيل: المفاهيم العلمية، دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان، ط1، 2000،
- 4- عبد الغفار مكوي: لم الفلسفة، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر 2006،
- 5- آلان شلنر: نظريات العلم، ترجمة الحسين سحبان وفؤاد الصفا، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 1991
- 6- عمر الشارني: المفهوم في موضعه، أوفى العلاقة بين الفلسفة والعلوم، دار الجنوب تونس، ط1، 1992،
- 7- بناصر البعزاتي: خصوصية المفاهيم في بناء المعرفة، دار الأمان للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط - المغرب، ط1، 2007،
- 8- محمد وقيدني: الاستيمولوجيا التكوينية عند بياجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب 2007،
- 9- جيل دولوز وفليكس غتاري: ما هي الفلسفة، ترجمة مطاع صفدي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت، ط1، 1997،
- 10- سالم يفوت: فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، ط1، 1986.
- 1- André Lalande: Vocabulaire technique et critique de la philosophie, 1vol, PUF, Paris 1992,
- 2- Didier Julia: Dictionnaire de la Philosophie, Librairie Larousse, Paris, 1979
- 3- Alain Lercher: Les mots philosophiques, illustration de Bennip, Edition, Belin, Paris, 1985
- 4- Albert Chapelle: Epistémologie, Editions Lessius, Bruxelles, 2008
- 5- Ludwig Wittgenstein: Tractatus Logico-Philosophicus, trad, par Klossowski, Ed, Gallimard, Paris, 1986,
- 6- Bruno Leclercq: Introduction à la philosophie analytique, Editions De Boeck université, Bruxelles 2008,
- 7- Philippe Choulet, Dominique Folscheid, Jean-Jacques Wunenburger: Méthodologie philosophique, Ed. PUF, Paris, 1992
- 8- Gaston Bachelard: La formation de l'esprit scientifique, éd, J. Vrin, Paris, 1999
- 9- Philippe Lacour: la nostalgie de l'individuel, Essai sur le rationalisme pratique de G.Granger, Librairie Philosophique J.Vrin, Paris, 2012
- 10- Isabelle Stengers: Les Concepts Scientifiques, Editions Gallimard, Paris, 1991
- 11- G. Lebrun: La conception grangérienne de la philosophie, in la connaissance philosophique. Essais sur l'œuvre de Gilles-G. Granger, textes réunis par J.Proust et E.Schwartz, PUF, Paris 1995.